إستراتيجيّة دُور النّشر في ترجمة قصص الأطفال

The Strategy of Publishing Houses in Translating Children's Stories

د. سمير بوشاقور الرّحماني*

تاريخ الاستلام: 10/ 09/ 2020 تاريخ القبـول: 21/ 06/ 2021

مُلخَّص: تَهدِفُ هذه الدّراسة إلى البحث في ما مدى اهتمام دُور النّشر والطّبع في الوطن العربي وفي العالم الغربي ككلّ بعملية ترجمة قصص الأطفال. بدأنا الحديث عن الاستراتيجية المعتمدة من لدن هذه المؤسّسات النّشرية في طبع وتوزيع مختلف المطبوعات بين القرّاء، ثمّ ما مدى اهتمامها بالكتب المترجمة مقارنة بتلك المؤلّفة. وفي الختام؛ حصرنا هذا الاهتمام في تناول جانب ولوج قصص الأطفال المترجمة - والمكيّفة أحيانًا ثقافيًا من قبل مترجم واعٍ-دُور النّشر وطريقة إخراجها في شكلها النّهائي. خلصنا إلى أنّ قصص الأطفال؛ لِما تحمله من خصوصية بالغةٌ كونها تستهدف جمهورًا حسّاسًا؛ تتأثّر غالبًا بالإستراتيجية التي تتبعها أيّ دار نشر في عملها مرتكزة في ذلك على إيديولوجية النّاشرين.

كلمات مفتاحية: إيديولوجية؛ ترجمة؛ دار نشر؛ طفل؛ قصّة.

Abstract: This study aims to investigate the interest of the publishing and printing houses in both Western and Arab worlds in the process of translating children's stories. It starts by presenting the strategy used by these publishing institutions in printing and distributing various publications among readers; then, how far these institutions are interested in translated books compared to written ones. Finally, it restricts this interest to the translated children's stories which are sometimes culturally adapted by a conscious translator and the way they are edited. It is concluded that due to their great particularity, children's stories, as they target a sensitive audience, are often influenced by the strategy that any publishing house follows in its work and it is based on the ideology of the publishers.

Keywords: Child; Ideology; Publishing house; Story; Translation.

* - معهد التّرجمة، جامعة أحمد بن بلّة؛ وهران1؛ الجزائر.

البريد الإلكتروني: errahmani.samir@edu.univ-oran1.dz (المؤلّف المرسل)

1. المقدّمة: لا ينفكُّ علماء النّفس والتّربية والمهتمّين بعالم الأطفال يحثُّون المترجمين الأدبيين على تكييف القصص محلّيًا أثناء ترجمتها، وبثّ في نفوس النّشئ الصّغير الاعتزاز بثقافتهم الأصلية وبتاريخهم. دون أن يُنسيهم ذلك ضرورة بناء حضارة عصرية مبنية على العِلم والخُلق القويم والتّعامل بالأسلوب المتحضّر مع الآخر، وأن يظفروا دومًا بلُبِّ الحضارة الإنسانية لا بقشورها.

لذلك نجد أنّ دُور النَّشر والطَّبع في الوطن العربي وفي العالم الغربي تسعى سعيها لتعريف الأطفال وأوليائهم بما تزخر به المكتبات من مؤلَّفات وقصص كُتبت لهم وعنهم. وهذا التّعريف يتّم أحيانًا عن طريق التّرجمة، وغالبًا ما تكون هذه التّرجمة مكيّفة ثقافيًا أي مسؤولة وواعية.

فما مدى الاهتمام الذي توليه هذه المؤسّسات لعمل المترجِم وبالخصوص لقصص الأطفال المترجَمة؟

وما هي الإستراتيجية التي تتبعها دُور النّشر والطّبع سواءً أكانت غربية أم عربية في عملها؟

وهل لها أصلا إستراتيجية أم أنّها مجرّد مؤسّسة تجارية ربحية؟

وفوق ذلك كلّه؛ هل تتدّخل دور النّشر هذه حقًّا في عمل المترجِم؛ إذا ما كان بصدد التّعامل مع نصوص ذات حساسية كما هو الحال مع قصص الأطفال؟

2. دُور النّشر في العالَم الغربي:

1.2. صراع دُور النّشر في الغرب والمترجمين:

يكاد يتمثّل هذا الصّراع بين الطّرفين في عدم ثقة المُؤلِّفين في دُور النّشر في أوربا وبالخصوص الحديثة منها. لأنّ الكُتّاب هناك لا يخاطرون في وضع مؤلّفاتهم التي تعبوا كثيرًا في تأليفها بين يدَي دار نشر حديثة أو غير معروفة.

لذلك نجد أنّ دار النّشر تلجأ إلى ترجمة مؤلّفات سبق وأن وُزِّعت في السّوق بُغية وضع قدم لها فيه. فهم غالبًا ما يسعون لطبع وتوزيع كتب وقصص سبق وأن لاقت نجاحا في لغاتها الأصلية أو على الأقلّ معروفة لدى جمهور القُرّاء. مثل نشر الرّوايات الشّهيرة لمغامرات هاري بوتر لصاحبتها البريطانية جوان رولينغ (Joanne ROWLING) بعد ترجمتها إلى اللّغات الأوربية المحلّية، حيث طُبع منها الملايين من النّسخ بأكثر من 35 لغة مختلفة.

أضف إلى ذلك أنّ المؤلِّف الأصلي لن يمتنع -بل بالعكس-في إعطاء موافقته في نشر مؤلَّفه في لغات أخرى، فهو لن يخسر شيئًا كون هذه النّسخة المترجَمة هي إضافة إلى إنتاجه الفكري.

Il faut savoir que pour une petite maison d'édition indépendante, la seule possibilité viable c'est de faire de la traduction. Parce qu'aucun auteur ne va nous faire suffisamment confiance pour nous donner un manuscrit inédit, puisque nous n'avons pas encore fait nos preuves. (Voir HERMANN, 2017)

يجب أن نعلم أنّه بالنّسبة لدار نشر صغيرة ومستقلّة، فإنّ الخَيار الوحيد المُتاح هو التّرجمة. لأنّه لا يوجد مؤلّف سيثقُ بنا كفايةً ليعطينا مخطوطة غير منشورة، حيث أنّنا لم نُثبت أنفسنا بعد. -ترجمة لنا-

وهنا يجب أن نُنوّه إلى الاختلاف الموجود عندنا في الوطن العربي. فدُور النّشر لدينا سواءًا أكانت ذات صيت أم معروفة نسبيًا أم مجهولة تمامًا؛ فهي تُرهق المؤلّف بإجراءات عديدة ومعقّدة وأحيانا تُجبره على دفع تكاليف استباقية من أجل طبع مؤلَّفه أصليًا كان أو مترجمًا.

من جهة أخرى يُعاني المترجمون في أوربا؛ وبدرجة أقلّ في فرنسا؛ من صعوبات جمّة خلال ممارستهم لمهنة التّرجمة وبالتّحديد مع النّاشرين. فتكاد تتلخّص هذه العداوة بينهما إن جاز تسميتها كذلك، في احتقار أو ازدراء هؤلاء النّاشرين للمترجِم وعدِّهِ شخصًا طُفيليا أو وصوليًا يحاول من خلال ترجمته للمؤلَّف الأصلي الظّهور والتّفوّق على نجاح الكاتب الأوّل.

ويُمكن حصر هذه المشاكل بين الطّرفين فيما يلي:

- مسألة الأتعاب المالية: فكثير من دور النّشر في أوربا لا تُقدّر عمل وتعب المترجِم حقّ قدره.

La rémunération moyenne du feuillet est passée de 23 à 20 € entre 1996 et 2009. En revanche; le chiffre d'affaires de l'édition est augmenté de 34%. (Voir ASSOULINE, 2011:16)

انخفض الأجر المتوسّط لترجمة منشور من 23 إلى 20 يورو بين عامي 1996 و2009؛ بينما ارتفعت أرباح دور النّشر بنسبة 34٪. -ترجمة لنا-

نُشير هنا أنّ هذا الأجر هو ما يتقاضاه المترجِم الفرنسي. أمّا الحال في باقي دول أوربا مثل ألمانيا وإسبانيا فهو أسوأ. لذلك يلجأ المترجِم هناك بالإضافة إلى عمله لدى الوكالات ودُور النّشر إلى المبادرة الفردية في ترجمة الكتب ومختلف المؤلّفات حتّى يضمن العيش الكريم؛

- إلزام دُور النّشر والطّبع المترجمين على إتمام ترجمة عدد معين من المؤلّفات خلال السّنة.

Les traducteurs doivent tenir un rythme de six à sept livres par an. (Voir La rédaction, 2016)

يتوجّب على المترجمين ترجمة ستّة إلى سبعة كتب في السّنة. -ترجمة لنا-

وبالتّالي فإنّ ضغطًا رهيبًا سيُولد عند المترجِم الأوربي بُغية إنهائه لعمله في الوقت المحدّد. وعليه نرى أنّ المعدّل الطبيعي لإنهاء ترجمة كتاب ذي صيت مقبول هو ثلاثة أشهر. فتكون مردودية المترجِم الطّبيعية والمعقولة خلال السّنة هي نقل كتاب/ ثلاثي.

- تجاهل دور النّشر لحقّ المترجِم في إعادة قراءة أو تنقيح ترجمته.

"Les traducteurs se plaignent de ne pas être consultés en cas de correction de leurs épreuves, ce qui explique parfois la publication de traductions aberrantes. Les éditeurs vont au plus pressé, au plus rentable et ne demandent pas de relecture finale." (La rédaction, 2016)

"يشكو المترجمون من عدم استشارتهم عند تصحيح إنجازاتهم، ممَّا يُفسِّر أحيانًا نشر ترجمات مضلِّلة. إذ يسعى النّاشرون لربح الوقت وربح المال أكثر ولا يطلبون إعادة قراءة نهائية." -ترجمة لنا-

وهناك دُور النّشر التي تقوم هي عينها بإعادة تصحيح التّرجمات دون العودة إلى المترجِم ثمّ طبعها للعمل، ظنًّا منها أنّ النّاشر أو من يُوكل إليه عمل التّنقيح وإعادة القراءة -وغالبًا ما يكون شخصًا ثنائي اللّغة-بإمكانه أداء عمل المترجِم وهذا غير صحيح. لأنّ المترجِم الكفء هو ذاك النّاقل العارف باللّغتين والملمّ بثقافتهما؛ والأهمّ من ذلك هو ذاك الكاتب في لغة أخرى الذي يملك تلك الملَكة الأدبية في المقدرة على إعادة بعث نفس الشّعور عند المتلقّي الجديد لدى قراءته للنّص المترجَم.

2.2. استراتيجية دُور النّشر الغربية في ترجمة قصص الأطفال:

يُولي جلّ النّاشرين في العالَم المتقدِّم أهميّة بالغة لما سيقومون بطبعه وبيعه للمستهلك من قصص وكتب للأطفال. ففي كثيرًا من الأحيان ما يقوم المترجِم بتوجيه من النّاشر بتكييف النّصوص على حسب البيئة التي ستُولد فيها وعلى حسب الطّفولة التي ستقرأها. فتُشبَّع تلك القصص بالأفكار والمفاهيم البيداغوجية التي يرغب النّاشر في نشرها أو الإيديولوجية التي ينتمي إليها، خشية تنفير المتلقّي الصّغير من الاطّلاع عليها أو ترهيب الوالد في اقتنائها.

Le traducteur et l'éditeur ont souvent tendance à adapter le texte source selon le monde de l'enfant visé. Ils favorisent leurs propres idées sur l'éducation; leur idiologie, dans la crainte de troubler ou choquer le jeune lecteur et l'adulte qui achète ce livre. (Voir FRIOT, 2003:48)

غالبًا ما يميل المترجِم والنَّاشر إلى تكييف النّص المصدر وفقًا لعالَم الطِّفل المقصود. إذ إنَّهما يُفضِّلان ترسيخ أفكارهما الخاصّة حول التّربية؛ وإيديولوجيتهما، كلّ ذلك خوفًا من إزعاج أو صدم القارئ الصّغير والشَّخص البالغ الذي يشتري هذا الكتاب. -ترجمة لنا-

فالقصص الجريئة والتي تدعو إلى العنف غير محبّذة أيضًا للتّرجمة من قبل النّاشرين في الغرب. وحتّى وإن كانت ثقافاتهم غربية متحرّرة وغير تقليدية؛ إلاّ أنّهم لا يبغون تلك القصص لأطفالهم، وبالأخصّ إن كانت تحوي مقاطع جنسية فاضحة. وهذا يجرّنا إلى الاعتقاد بأنّنا كعرب ومسلمين ما زلنا محافظين على بعض القيم الأخلاقية وإن كانت منظومة القيم في بعض قصص الأطفال الأجنبية إشكالية لنا بحدّ ذاتها خلال ترجمتها للّغة العربية، فإنّ الدّول الأوربية أو الغربية ككلّ تصطدم كذلك بهذه الإشكالية والتي مفادها تَفرُّد كلّ دولة أو كلّ أمّة بأصالتها وثقافتها ورؤيتها الشّخصية في تربية أبنائها. فغالبًا ما تكون تربية الصّبي البريطاني تربيةً حازمة صارمة، أمّا الألماني أو الأمريكي الصّغير فنجده أكثر جرأة وتحرّرًا، والفرنسي يتوسّطهما، وتكاد تتشابه تربية أطفال الإسبان والطليان مع تربية العرب لانتمائهم كلّهم إلى ثقافة أكبر ألا وهي ثقافة البحر الأبيض المتوسّط.

Les éditeurs refusent de traduire certains titres qu'ils jugent trop violents ou trop osés pour le jeune public français. Ou en meilleur cas, le traducteur serait invité 'par l'éditeur' à supprimer ou modifier quelques passages dans le texte, notamment en ce qui concerne des évocations trop explicites de la sexualité. Cela signifie que les normes éducatives ne sont pas identiques dans tous les pays et chez tous les peuples, et que, contrairement à ce qu'affirment bien des discours sur une littérature de jeunesse qui ne connaitrait plus de tabous, ces normes continuent à peser sur les stratégies éditoriales. (Voir FRIOT, 2003:49)

يرفض النّاشرون ترجمة بعض العناوين التي يعدّونها عنيفة جدًا أو جريئة جدًا بالنسبة إلى الجمهور الفرنسي اليافع. وفي أفضل الأحوال، سيتمّ حثّ المترجِم 'من قبل النّاشر' إلى حذف أو تعديل بعض المقاطع في النّص خاصّة فيما يتعلّق بالإثارة الجنسية الصّريحة للغاية. وهذا يعني أنَّ المعايير التّربوية ليست هي نفسها في جميع البلدان وبين جميع الشّعوب، وأنه على عكس ما يدور حوله الكثير من الحديث عن أدب للأطفال من دون قيود فإنّ هذه المعايير لا تزال تُؤثِّر على استراتيجيات النّاشرين. -ترجمة لنا-

ممّا يعني أنّ للنّاشر في العالم الغربي تأثيرا مهمًّا في عمل المترجِم عامّة وبالخصوص إذا كان هذا المترجِم يتناول في عمله قصصا للأطفال. ولكن قد يتمادى هذا التّأثير من لدن صاحب دار الطّبع في اختيار القصص الطِّفلية التي يتوجّب ترجمتها أو في التّرجمة نفسها. فلا يتهافتون إلاّ على قصص تخدم مصالحهم الغربية التي لا تخدم في كثير من الأحيان ثقافة الشّعوب المحتّلة سابقًا أو ما يُسمّى بثقافة الشّعوب المغلوبة.

3. دُور النّشر في الوطن العربي:

1.3. بدايات اهتمام دور النّشر العربية بعمل المترجمين:

يعود بداية إشراف مؤسّسات النّشر الرّسمية في الوطن العربي على عملية التّرجمة إلى العهد العبّاسي إبّان خلافة المأمون، الذي كان يرعى 'بيت الحكمة' والتي كانت "تضمّ المُصحّحين والمُراجعين والنُّسّاخ وكلّ من له علاقة بصناعة الكتاب" (خمري، د.ت:291).

فنلحظ أنّ الدّولة وقتئذ أولت أهمّية لعمل المترجمين ولم تتجاهله بالرّغم من افتقارها لعدد هذه الدّور، ولكنّ الكيف والمراقبة النّوعية شفعت لهم عن الكمّ الشّحّيح من المؤسّسات النّشرية. ولم يختلف الأمر كثيرًا في الأزمان اللاّحقة حيث تَواصل تشجيع الدّولة متمثّلةً في مؤسّسات النّشر الرّسمية وذلك في مصر مثلًا إبّان عهد محمّد علي باشا، غير أنّ التّرجمة حينئذ "كانت تقوم بها هيئات متعدّدة" (الشّيّال، 207:1951)؛ وذلك عائد لوعي المترجمين والدّولة على حدٍّ سواء بالمسألة، واحتكاكهم بزملائهم في أوربا وأخيرًا التّنظير الذي مسّ عملية التّرجمة.

أمّا في العصر الحديث فيُمكن التّمييز بين مرحلتين مختلفتين في التّرجمة التي قامت بها دُور النّشر العربية لقصص الأطفال؛ فبعدما كانت هذه التّرجمة خلال القرن العشرين وبالأخصّ في بدايته، عشوائية وتجارية محضة لا تستند إلى معايير أدبية ولا أخلاقية، إذ كانت هذه الدُّور تسعى وراء هذه التّرجمة التي لا تخدم طموحات الطّفل العربي وثقافته بقدر ما تخدم عائدات المطبعة وجيب المترجِم التّاجر؛ وهذا ما يُؤكّده علي أحمد مدكور في تسارع البعض إلى الإنتاج الغربي يُترجمونه إلى اللّغة العربية بما فيه من مضامين تتصادم مع البيئة العربية الإسلامية شكلًا وموضوعًا وفي كثرة عدد العاملين في هذا الميدان من التّجار أكثر من الأدباء. (يُنظر مدكور، 229:1991)

ولكن ما لبثَت أن تحوَّلت وتطوّرت هذه التّرجمة الطِّفلية في مرحلة تالية لتَصير أكثر مسؤولية وإلمامًا بدورها في تنشئة الطّفل العربي تنشئة ثقافية عربية إسلامية. فتأسّست دور نشر خاصّة بالأطفال خاصّة في مصر والعراق وبلاد الشّام مثل "دار الفتى العربي الفلسطينية، وقد خصّصت هذه الدّور جزءا بسيطا من إصداراتها للتّرجمات الحديثة أيّامها لكن نادرًا ما كان يُذكر اسم القصّة الأصلية أو اسم المترجِم، وذلك على الأغلب بسبب عدم توفّر حقوق النّشر." (أسعد، 2018) أو لحاجة في نفس المترجِم التّاجر غير النّزيه أحيانًا في نسب القصّة المعروفة عالميًا والمجهولة نسبيًا في الوطن العربي وبين أوساط الأولياء وأبنائهم إلى نفسه. كلّ هذا بمباركة دار نشر تجارية والتي لا يهمّها سوى الرّبح السّريع.

2.3. أهمّ أعمال دور النّشر العربية في ترجمة قصص الأطفال:

تنال دور النّشر في المشرق العربي مقارنةً بالمغرب العربي القسط الأوفر في نشر القصص الطِّفلية، وعلى رأسها بلاد الكنانة. فنذكر على سبيل المثال لا الحصر دار النّشر 'إلياس'، والتي قامت بطبع ترجمات لعدّة قصص منها: 'الحرب العجيبة' (Strange War)لمؤلّفها الألماني مارتن أوير(Martin AUER) وقامت بترجمتها هالة شريف. (Voir Goethe, 2005) وقد أخرجتها الدّار في شكل جذّاب بغلاف أزرق جميل وبرسومات داعيةً للمتلقّي العربي الصّغير لقراءها. وطبعت أيضًا: 'مؤتمر الحيوانات' (Animal Conference)، للكاتب الألماني كاستنر إريك (Kästner ERICH)؛ ترجمة هدى أحمد (Voir Elias, 2004).

كما لا يفوتنا أن نذكر في هذا المقام مجهودات 'المعهد الثّقافي الإيطالي' بالقاهرة؛ والذي قام بطبع من عام 2000 إلى عام 2010 ستّ وثلاثين قصّة على لسان الحيوانات وأخرى تتحدّث عن المغامرة، مترجمة من اللّغة الإيطالية نحو اللّغة العربية. مثل قصص 'النّمر' و'القمح' و'النّحلة الشّغالة' من تأليف جايا فولبتشلي (Gaia VOLPICELLI) وترجمة نجلاء والي.

"L'Instituto Italiano di Cultura du Caire a traduit et publié durant les dix dernières années 36 livres pour la jeunesse en arabe." (CHÈVRE, 2010:16)

"ترجم المعهد الثّقافي الإيطالي بالقاهرة وطبع خلال العشر سنوات الفائتة 36 كتابًا للنّشء نحو العربية." -ترجمة لنا-

وفي لبنان؛ العديد من دُور النّشر التي تهتم بنشر قصص الأطفال وترجمتها، ومن أبرزها 'دار العلم للملايين' و'الشّركة العالمية للكتاب' و'شركة دار الشّمال' و'دار المؤلّف' و'دار المجّاني'... وحسب 'نقابة اتّحاد النّاشرين في لبنان' فإنّ هناك ما يقارب 650 دار طبع في لبنان. حيث ينتج هذا البلد الصّغير لوحده 30% من مجموع المؤلّفات المنشورة من الخليج إلى المحيط. (يُنظر نقابة، 2020) وهذا إن دلّ عن شيء فإنّما يدلّ على أنّ دولة لبنان تهتمّ على الأقل بصورة واضحة وكبيرة بالطّفل وقصصه الأصلية والمترجَمة.

وقد اتّخذت دار النّشر 'دار ربيع للطّباعة والنّشر' في سوريا من القول الآتي: 'ثقافة أطفالنا أوّلًا' شعارًا لها وذلك منذ سنة 1983. ولها موزّعون في عديد البلدان العربية منها الجزائر وغربية مثل المملكة المتّحدة. (يُنظر ربيع، 2020) كما نشرت 'دار حافظ للنّشر والتّوزيع' كتبًا متنوّعة للأطفال منها الأصلية والمترجَمة مثل سلسلة 'أحلى القصص المترجَمة' المتكوّنة من ثمانية أجزاء، وهي قصص باللّغتين العربية والإنكليزية. (يُنظر الحافظ 2020) غير أنّها من تأليف كاتبة عربية وهي أماني الزّهيري والمترجِمة من الأقارب وهي قمر الزّهيري.

3.3. لمحة عن دُور النّشر الجزائرية وطبع كُتب الأطفال:

لا يختلف حال دُور النّشر الجزائرية في مسألة طبع الكتب ومختلف المؤلّفات مع نظيراتها في الوطن العربي والعالم الثّالث ككّل. فنجد أنّ أغلبها تعتمد بشكل كامل على دعم الدّولة؛ متمثّلةً أساسًا في وزارة الثّقافة؛ وبالتّالي فهي لا يمكنها بطبيعة الحال أن تُخرج للعلن كتابًا أو مؤلّفًا سواءً أكان موجّها لشخصٍ راشد أم قاصر لا يوافق إيديولوجية هذه الدّولة.

فتحرص دُور النّشر على طبع المؤلّفات الموجّهة للطّفل الجزائري بما يخدم تاريخه وهويته ومستقبله. وذلك اِمتثالا لتوصيات وَزارتَي الثّقافة والتّربية الوطنيّة في 'جزأرة' الفكر لدى الطّفل عندنا. ونلمس تزايد شدّة الرغبة في تعريف أبنائنا بتراثهم وثقافتهم الجزائرية خصوصًا في السّنوات القليلة الماضية. ولكن لا يُمكن أن يرقى كلّ ما كُتب هنا في الجزائر للأطفال من طرف بعض الكتّاب الجزائريين إلى المستوى المطلوب. أضف إلى ذلك أنّ بعض القصص والرّوايات العربية والعالمية الشّهيرة لا مناص للطّفل الجزائري أن يحيط بها علمًا كونها تبقى دُررا من الأدب العالمي النّاجح؛ كقصص ألف ليلة وليلة وقصص الأخوين جريم.

ومن أسماء دور النّشر الجزائرية التي تجتهد في طبع المؤلّفات بدعم من الدّولة أو من دونه نجد 'دار الحكمة'، والتي أخرجت كتابا للدّكتورة لزرق مغنية عنوانه 'التّعليق من الجزائر إلى بغداد' المترجَم إلى اللّغات العربية الإنكليزية والفرنسية." (الفجر، 2012)

ونجد كذلك 'دار الأنيس' المختصّة في كتاب الطّفل والتي تعي جيّدًا المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتقها كونها تهتّم بمؤلّفات من شأنها تربية النّاشئة. وفي هذا الخصوص يقول ممثّلها أنّ الدّعم الذي يلقونه من طرف السّلطة شحيح؛ فهم لم يتحصّلوا "إلاّ على دعمين سنة 2005 الأولى لمجموعة قصصية

للطّفل بالفرنسية والثّانية بالعربية وفي ذات المجال." (الفجر، 2012) ومع الأسف فإنّ اللّغات الأخرى كالإنجليزية مثلا مُغيّبة في ساحة القصص الجزائرية الموجّهة للطّفل.

تهتمّ 'دار سيديا' المتواجدة بالجزائر العاصمة هي أيضًا بنشر القصص المترجَمة للأطفال، مثل: 'رحلات جدّو' (Le secret de Papy Frioul) للكاتب الفرنسي جون لوك لوسياني (Jean-Luc LUCIANI) وترجمة سلمان عيّاش. وقصّة 'محوت المعلّمة' (J'ai effacé la maitresse) للمؤلّفة صوفي ريقال قولار (Sophie RIGAL-GOULARD) وترجمة محمّد ساري. (يُنظر موقع سيديا، 2020)

4.3. مشاكل دُور النّشر العربية وترجمة قصص الأطفال:

إنّ من أبرز العوائق التي تواجه هذه الدّور حديثًا هو نوعية النّصوص التي ستتمّ معالجتها لغويًا عن الغرب (يُنظر الحسين، 08:2011). فغالبًا ما تُترجم سوى القصص المصوّرة وكتب المفاهيم للصّغار كونها لا تُمثِّل 'إلى حدٍّ ما' أيّ إشكالات ثقافية نوشك أن نختلف فيها مع الآخر؛ فموضوعاتها تدور حول الخوف من الظّلام ومشاكل المدرسة وغيرها من الاهتمامات المشتركة لأطفال الدّنيا. فهي لا تعكس وجهة نظر مؤلِّفيها ولا تحمل رأي أو ثقافة مجتمع محدّد، خلاف ما نجده في قصص الطّفولة الأخرى وخاصّة قصص الطّفولة المتأخّرة والتي كثيرًا ما تعزِف دور الطّبع في إيجاد المترجمين لها لتسويقها، لِما تحمله من تحدّيات ثقافية. وهنا غالبًا ما يلعب النّاشر دور الرّقيب على نفسه، فهو لا يريد أن يصطدم بـ'التّابو' الاجتماعي.

ولكن لا يُمكننا تغافل التَّعنُّت المستمر لبعض دور النَّشر العربية في ترجمة القصص عشوائيًا للأطفال العرب. وبالرَّغم من أنَّ العديد من هذه العناوين ذات قيمة أدبية كبيرة وفيها من عوامل الجذب والإثارة ما يلفت الطّفل لها سريعًا، إلاّ أنّ جزءا منها يُسهم في عملية الغزو الثَّقافي، ممّا جعل الكثير من الأصوات في الوطن العربي تُنادي بضرورة الوقوف ضدّ هذا الغزو؛ فاكتفت بعض البلدان بمنع دخول هذه الإصدارات إلى أطفالها. ولكن هذا الإجراء وحده غير كاف، إذ لا بدّ من اقتراح بديل يُغني أطفالنا عن الجري وراء تلك الإصدارات (يُنظر الهيتي، 225:1988)، وذلك عن طريق تشجيع الكتابة للأطفال وإقامة الجوائز لكاتبيها وتنظيم الملتقيات الوطنية والإقليمية التي تتدارس هذه القضية، ولِم لا ترجمة هذه القصص الأجنبية المدسوسة بسمّ ثقافي رهيب ترجمةً وظيفية تواصلية وفق ما تقتضيه الغاية في أوطاننا العربية بعد تكييفها ثقافيًا وبعد موافقة دور النّشر العربية.

تتعرّض أيضًا دُور النّشر في الوطن العربي كما هو معلوم للجميع من مشكل الرّقابة المسّلط عليها من طرف السّلطة العليا؛ فـ"مسألة الرّقابة التي تزيد، عربيًا، ولا تنقص. بل إنّ الرّقابة اليوم أشدّ من أيّ وقت مضى." (الشّرق الأوسط، 2001) تجعل المؤلّفات التي ستنشرها دور الطّبع لا بدّ لها وأن تمرّ بلجنة القراءة المشكّلة في الوزارات المختلفة: التّربية، الثّقافة، المجاهدين،... غير أنّ الرّقابة لا تصير مشكلا أمام دُور النَّشر والمؤلِّفين والمترجِمين حينما تتّصف بالاتّزان والموضوعية كونها تحافظ على عقيدة القارئ

وهويته من الاختلال والتّشكيك. فمنع دخول قصص للأطفال توحي بمقاطع جنسية أو عنيفة جدًّا أو قصص دينية شيعية أو من الإسرائيليات هو أمر حتمي. أمّا إذا كانت هذه الرّقابة سلاحًا في يد المشرّع ليسمح بطبع من يرضا عنه من مؤلّفات ويمنع المغضوب عليهم؛ فهنا يصير الأمر ذاتيًا وتعسّفيا.

بالإضافة إلى عامل الرّقابة التي تتعرّض له دور النّشر في الوطن العربي؛ وبالتّالي تأثّر مؤلّفات الكُتّاب العرب به، نجد تأثير إيديولوجية هذه الدّور على إخراج هذه المنتجات للعلن. فلجان القراءة لدى كلّ دار تقرأ ما يريد النّاشر أو مدير النّشر قراءته وتقوم بإعداد تقارير عنه (الشّرق الأوسط، 2001). فهناك دور نشر تُشجّع أو تدعو للوهابية، للحزب الواحد، للتشدّد الدّيني، للتّحرر والعلمانية، للتّعايش بين مختلف أطياف الشّعب الواحد للإخوانية، للسّلفية،... باختصار كلّ دار نشر في كل بلد عربي تسعى لأن تساير الموجة السّائدة في هذا البلد. فيظهر هذا السّعي جليًا في قصص الأطفال مؤلَّفةً كانت أو مترجَمة.

وبعض دُور الطّبع تنشر مؤلّفات لأطفال أو للرّاشدين ليس أساسا على إستراتيجيتها التي تتبعها في النّشر أو على أساس الإيديولوجية التي تعتنقها. وإنّما تجعل من قيمة الكتاب النّقدية معيارا لها في نشره وتسويقه. إذ يُعرض الكتاب "على لجنة متخصّصة، فإن نال رضاهم وأعجبهم ووجدوا فيه غنيمة باردة، فسوف يوافقون على طباعته على حسابهم." (الصّقير، 2009) وهذا برأينا يُعدُّ حكمًا ذاتيًّا شخصيًّا لا يمتُّ بمبادئ العلم والمعرفة العادلة بصلة.

4. أمثلة تطبيقية عن تأثّر ترجمة قصص الأطفال بدُور النّشر التي تُخرجها:

من خلال هذا العنصر المهمّ في الدّراسة؛ سنُحاول تبيان ما مدى تأثّر المترجِم وبالتّالي المترجَم؛ بدار النّشر التي سوف تطبع وتوزّع هذه القصّة.

يتناول المثال الأوّل القصّة الشّهيرة 'الأميرة النّائمة'، حيث لاحظنا عدّة فروقات بين طبعتين مترجمتين؛ إحداها لدار نشر لبنانية 'هاشيت أنطوان' (مترجم مجهول، 2016)، وأخرى جزائرية 'دار البدر للطّباعة والنّشر والتّوزيع' (عبد الجواد، د ت).

ففي الطّبعة اللّبنانية نجد بعض النّقاط الإيجابية كجودة الورق واحترافية في الرّسومات المُرافِقة، كما نشاطر رأي المترجِم مجهول الهوية في تعريب أسماء الشّخصيات مع أنّ تركها على حالها لم يكن ليصدِم المتلقّي الصّغير ومثال ذلك: ~~Aurora~~ شفق، ~~Stefan~~ مصطفى.

أمَّا النّقاط السّلبية فتمثَّلت في عدم ذكر إسمَي المؤلّف ولا المترجِم، وغياب ترقيم الصّفحات، وعدم ترجمة العنوان (Sleeping Beauty) في النّسخة العربية بـ'الأميرة النّائمة' كما هو شائع ومعروف، بل اعتماد العنوان الأجنبي في النّسختين. هذا بالإضافة إلى ترجمة العبارة الإنكليزية؛

"Flora blessed her with the gift of beauty and Fauna provided the gift of song." (Unknown author, 2016)

ترجمةً حَرفية لا تخدم القارئ العربي الصّغير: 'فأعطتها ريحانة هبة الجمال، وريّانة موهبة الغناء.' ونحن المسلمين ندري أنّ من يرزق النّعم والهبات مثل هبة الجمال وهبة الصّوت العذب هو الله سبحانه وتعالى. فحبّذا لو تُرجمت العبارة الإنكليزية السّابقة على النّحو التّالي مثلًا: 'فتمنّت لها ريحانة الجَمال، ودعت لها ريّانة بعذوبة الصّوت.'

وهنالك كذلك مسألة ترجمة الوسيلة التي ستوقَظ بواسطتها الأميرة المسحورة ألا وهي قُبلة الحبّ الحقيقي: '...وقبّل الأميرة بلطف، ففتحت عينيها... لقد زالت اللّعنة!'

"...and gently kissed his true love. Her eyes opened... The spell was broken!" (Unknown author, 2016)

ومع أنّ مكان القُبلة لم يُحدَّد بدقّة لا في الأصل ولا في التّرجمة، إلاّ أنّه من الشّائن وصف مثلُ هذه المشاهد للبراءة وحصر عواطف الحبّ بين الرّجل والمرأة وفقط. إذ أنّ القُبلة البريئة من طرف أي شخص مُحبٍّ بحقّ كأحد الوالدين، أو المربّية أو أحد الأقارب؛ يُمكن لها أن توقظ الأميرة النّائمة من سباتها العميق. أمّا فيما يخصّ ترجمة العبارة الإنجليزية للّغة العربية فنقترح مثلًا المقابل: 'فلمّا سمِعت صوته الحزين، فتحت عينيها.'

نوعز ترك المترجِم اللّبناني لهذه العناصر الثّقافية بعد موافقة النّاشر اللّبناني عليها، إلى طبيعة ثقافة المجتمع اللّبناني المتحرّر نوعًا ما والمتعدّد الدّيانات والأطياف. كذلك دُور النّشر في لبنان غالبًا ما تتّبع إستراتيجية محايدة أو علمانية -إن جاز التّعبير-في عملها وفي إخراجها للمؤلّفات أو حتّى قصص الأطفال التي تنوي توزيعها. فدُور النّشر اللّبنانية سبّاقة في هذا المجال في الوطن العربي، تأثّرت ولا زالت بدور الطّبع الأوربية وبخاصّة الفرنسية منها. لذلك نجدها تُحفّز المترجِم وتحثّه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى إعادة تأليف قصّة لطفل لبناني يقرأها الكلّ بغض النّظر عن طائفته أو ثقافته.

أمّا الطّبعة الجزائرية فجاءت أكثر تحفّظا من الأولى؛ طبيعة المجتمع الجزائري المحافظ. وهي ترجمة وُفِّقت إلى حدٍّ بعيد في تكييف المشاهد ثقافيا حسب الطّفل الجزائري المسلم. فجاءت القصّة مرقّمةً ومشكّلةً بالكامل وذاكرةً لاسم المترجِمة عكس النّسخة اللّبنانية.

كما تنبّهت المترجِمة إلى خطورة تلقين الصّغار أنّ أحدًا سوى الله، من المُمكن أن يرزق الجمال والنّعم كلّها فكتبت: 'أتت الجنّيّات لرؤية الطّفلة الصّغيرة، فتمنّت لها كلّ واحدة منهنّ أمنية جميلة."(عبد الجواد، د ت، 5) ولم تكتب أعطتها أو باركتها، لأنّ من المعلوم أن المخلوق يتمنَّى ويسأل والخالق هو من يُعطي ويَرزُق.

وفي موضع آخر قالت: '...وسوف يأتي أميرٌ ليوقظها.' ولم تُحدِّد كيف وأين؟ وأيضًا نجد في القصّة العربية: 'ولمّا لمح الأميرُ الأميرةَ نائمةً، أمسك بيدها فاستيقظت.' وهنا تفادت المُتصرِّفة ذكر القُبلة

وأبدلتها باللّمس مع أنّ لمس المرأة الأجنبية غير جائز في الشّريعة الإسلامية، لذلك نعود إلى اقتراحنا سابق الذّكر بأنَّ صوت الأمير الحنون هو من أيقظ الأميرة من سباتها.

وفي الأخير أحسنت المترجِمة الجزائرية في ختم القصَّة عندما ذكرت أنّ الأمير لم يتزوّج الأميرةَ إلاّ بعد موافقة وليّها الشّرعي ألا وهو والدها المَلِك؛ 'طلب الأمير الأميرة للزّواج فوافق الملكُ...' وهنا تأكيد وتعليم للفتاة المسلمة الصّغيرة أنّ من شروط الزّواج الشرعي في الإسلام وجود الوليّ.

يبدو أن الأمر بديهي بعد القيام بتصفّح ومعاينة بعض المنشورات الخاصّة بدار البدر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، أنّ هذه الدّار ذات التّوجّه الإسلامي والعربي لن تسمح أن يُخرج للعلن مؤلّفات من الممكن أن تخدش حياء المتلقّي الجزائري الصّغير. لذلك تأثّر عمل المترجِمة الجزائرية بإستراتيجية الدّار في العمل المطبعي وهي بدورها -أي دار النّشر-تتأثّر بإيديولوجية الدّولة الحاضنة.

في مثال ثان يخصّ ترجمة القصّة الشّهيرة لمغامرات روبنسون كروزو(Robinson CRUSOE)لصاحبها دانيال ديفوي (Daniel DEFOE)، نلحظ أنّ بطل القصّة المفقود منذ عدّة سنوات في جزيرة نائية، وعندما كان يهمّ ببناء سفينته؛ تساءل عن نوع الخشب الذي استعمله سيّدنا سليمان بن داوود عليهما السّلام في بناء الهيكل 'المزعوم' قائلًا:

"...I question whether Solomon ever had such one for the building of the temple at Jerusalem." (DEFOE, 1994: 127)

إنَّ الإشارة إلى المعبد بمدينة أورشليم (القدس) في النَّص الأصل لا تعدّ كونها كذبة تاريخية اخترعها اليهود الصّهاينة من أجل دعم مزاعمهم في القدس الشّريف وفي أحقّيتهم لفلسطين ككّل. لذلك عمدت كلّ من دار النّشر ربيع السّورية (تر خشفة وحسين، 1992)، ودار النّشر مكتبة المعارف اللّبنانية (مترجم مجهول، 1992) إلى حذف المقطع تماما لأنّ ترجمته بأمانة يُعدّ اعترافًا بوجوده. بينما أصابت ترجمة لبنانية أخرى لدار العلم للملايين (تر أكرم الرّافعي، 1994) حينما كيّفت المعلومة المغلوطة بتبديلها بـ' معبد في لبنان' وِفق مبادئ وعقائد الدّور وإيديولوجية الدّول المجاورة للكيان الصّهيوني المغتصب لأراضيها.

ولا يجب أن ننسى مدى الإسهامات الأدبية والثّقافية التي جلبها المثّقفون الفلسطينيون إلى دول الهلال الخصيب، فأغلب العاملون بدور النّشر (رؤساء تحرير ومحرّرون مساعدون) وبمجال التّرجمة في لبنان وسوريا كانوا فلسطينيين أو من أصول فلسطينية، ولا يمكنهم تمرير هذه المعلومة الكاذبة التي يسعى الصّهاينة إلى نشرها في العالم إلى النشء الصّغير في بلاد الشّام، سواءً أكانوا عربا نصارى أم مسلمين.

وفي المثال الثّالث والأخير في هذه الدّراسة التي أردنا من خلالها تبيان ما مدى تأثّر التّرجمة الطّفولية بإيديولوجية النّاشر قبل تأثّرها بثقافة المترجِم المحلّية، نجد في مجموعة قصصية باسم 'كورالي' أنّ المترجِم قام بتعريب أسماء الشّخصيات جميعها ما خلا اسم بطلة القصص 'كورالي' (Coralie) وكلبها

المرافق لها 'مندريان' (Minederien). وهذا الاحتفاظ بأسماء الأبطال كما ذُكرت في النّسخ الأصلية يرجع سببه إلى أنّ هذه الأسماء أساسية؛ بها تُعرف السّلسلة وتشتهر، فلا تستطيع دار النّشر العربية أن تتصرَّف فيها. ولأنّ دار النّشر الأصلية في بلجيكا بعد أن أبدت موافقتها وأعطت تصريحها بترجمة القصص إلى اللّغة العربية، فهي لن تسمح للمترجِم العربي بالضّرورة بتغيير أسماء الأبطال، فهم بمثابة علامة تجارية لها.

5. خاتمة: لحسن الحظّ أصبح المترجِم المتخصّص في نقل القصص للأطفال بين مختلف اللّغات يحرص على ما سوف يتمّ نقله لهذا الطّفل. ولحسن الحظّ كذلك مازال السّواد الأعظم من النّاشرين في العالَم يوافقون هذا المترجِم حرصه أثناء النّقل سامحين له بتكييف القصص ثقافيًا إمّا بالحذف أو الزّيادة وأحيانا أخرى بالتّغيير.

والحديث عن واقع ترجمة قصص الأطفال سواءً أمن قِبل دور النّشر العمومية أم الخاصّة يقودنا إلى التّنويه بما تشهده هذه العملية من حركية واسعة، ومجهودات تستحقّ الثّناء. غير أنّه لا يجب علينا أن نُنكر حجم المؤلَّفات التي يطبعها العالَم الغربي لأطفاله مقارنة بنا، خاصّةً في دول متطوّرة كالسّويد وفنلندا وكندا... إلاّ أنّ الوعي بضرورة ترجمة قصص الأطفال في الوطن العربي ومن اللّغة العربية وإليها صار ملموسا وفي تزايد. إذ نلمس هذا الاهتمام في تشجيع بعض المؤسّسات الرّسمية في بعض الدّول العربية لعملية التّرجمة بإقامة لها ملتقيات وجوائز معتبرة.

وختاما تسعى بعض دُور النّشر إلى مواكبة العصر، والتّجديد والانفتاح على الآخر، وذلك من خلال شراء حقوق طبع ترجمة القصص الموجّهة للطّفل وتطبيقها على أرض الواقع. فهناك العديد من النّاشرين الخواص بالتّحديد؛ من يقوم باختيار المؤلَّفات التي حقّقت رقم مبيعات كبير في لغاتها الأصلية ثمّ يقومون بتعريفها للطّفل العربي بعد غمسها غالبًا في إيديولوجية الدّار والدّولة على حدٍّ سواء.

6. قائمة المراجع:

- **المؤلّفات:**

1. الشّيّال جمال الدّين، تاريخ التّرجمة والحركة الثّقافية في عصر محمّد علي، دار الفكر العربي، 1951، القاهرة، مصر.

2. الهيتي هادي نعمان، ثقافة الطّفل، فلسفته، فنونه، وسائطه، سلسلة عالم المعرفة 123، مطابع الرّسالة، الكويت، مارس 1988.

3. خمري حسين، جوهر التّرجمة، دار الغرب للنّشر والتّوزيع، د.ط، د.ت، وهران، الجزائر.

4. ديفوي دانيال، روبنسون كروزو، ترجمة خشفة محمَّد نديم وذكرى الحاج حسين، دار النَّشر ربيع، دمشق، سوريا، 1992.

5. ديفوي دانيال، روبنسون كروزو، ترجمة لجنة من المتخصِّصين، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1992.

6. ديفوي دانيال، روبنسون كروزو، ترجمة الرَّافعي أكرم، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1994.

7. عبد الجواد صوريا، الأميرة النَّائمة، سلسلة قصص عالمية، دار البدر للطّباعة والنَّشر والتّوزيع، د.ط، د.ت، الجزائر العاصمة.

8. مترجم مجهول الإسم، كورالي (سلسلة)، شركة دار الشّمال، طرابلس، لبنان، د. ت.

9. مترجِم مجهول الإسم، Sleeping Beauty، سلسلة حكايتي الصّغيرة، هاشيت أنطوان، بيروت، لبنان، 2016.

10. مدكور علي أحمد، تدريس فنون اللّغة العربية، دار الشّواف، 1991، الرّياض، المملكة العربية السّعودية.

11. ASSOULINE Pierre, La condition du traducteur, Centre nationale du livre, Paris, France, 2011.

12. CHÈVRE Mathilde, Traduire la littérature de jeunesse en Méditerranée, Transeuropéennes, Paris; France et Fondation Anna Lindh, Alexandrie; Egypte, 2010.

13. DEFOE Daniel, Robinson CRUSOE, Penguin books, 1994, London, UK.

14. HIVER Jeanne et COURONNE Pierre, Coralie, 6 aventures passionnantes, éd Hemma, Belgique, 2004.

15. Unknown author, Sleeping Beauty, (My Tiny Tale), Hachette, Antoine Kids, Beyrouth, Liban, 2016.

- **المقالات:**

1. محمّد الحسين فاطمة، ترجمة كتب الأطفال... خيار أسهل وإثراء أسرع، المجلّة العربية، العدد 417، شوّال 1432هـ/ سبتمبر أيلول 2011م، الرّياض، المملكة العربية السّعودية.

2. FRIOT Bernard, Traduire la littérature pour la jeunesse, Le français aujourd'hui, 2003/3, n°=142, édition Armand COLIN, Paris, France.

- **مواقع الإنترنيت:**

1. أسعد دنيس، التّرجمة في أدب الأطفال العربي، 2018.

https://www.facebook.com/267817826657027/posts/1474304462675018/

(11-07-2020/ 22:07)

2. الصّقير سليمان، المؤلّف والتّأليف ودور النّشر والطّباعة والتّوزيع، 2009.

http://www.naseemnajd.com/w/?p=708 *(02-06-2020/ 19:05)*

3. جريدة الشّرق الأوسط، ناشرون: نحترم حقوق الملكية الفكرية ولا نشتري عقل المؤلّف، 2001.

https://archive.aawsat.com/details.asp?issueno=8070&article=31637#.XzUHEsD7SM8

4. جريدة الفجر، متى يخرج النّاشر الجزائري من عباءة وزارة الثّقافة؟، 2012.

https://www.djazairess.com/alfadjr/206421 *(13-08-2020/ 11:17)*

5. دار الحافظ للنّشر والتّوزيع، 2020.

https://daralhafez.net/product/أحلى-القصص-المترجمة-مجموعة-من-8-أجزاء/

(13-06-2020/ 19:08)

6. دار ربيع للنّشر، 2020.

http://rabie-pub.com/ar/ *(10-07-2020/ 19:15)*

7. دار سيديا، 2020

https://sedia-dz.com/portal/livre/ *(10-07-2020/ 20:01)*

8. نقابة اتّحاد النّاشرين في لبنان، 2020.

http://publishersunionlb.com/ar/index.php/publishers/338-internationalbook

(15-07-2020/ 13:46)

9. *Elias Modern Publishing House, Animal Conference, 2004.*

http://www.eliaspublishing.com/children_books/animal_conference.html

(01-09-2020/ 21:04)

10. Goethe Institut, Strange War, 2005.

http://www.goethe.de/ins/eg/prj/uak/gwl/kju/aur/arindex.htm *(08-09-2020/ 20:43)*

11. HERMANN Marie, Traduction et édition, 2017.

https://www.aplv-languesmodernes.org/spip.php?article6672 (22-06-2020/ 18:14)

12. La rédaction, Le traducteur; parent pauvre de l'édition, 2016.

https://www.actualitte.com/article/monde-edition/le-traducteur-parent-pauvre-de-l-edition/64565 *(15-08-2020/ 15:05)*